المنظور الإسلامي للديبلوماسية: بين المقاربات النظرية والنماذج العملية

The Islamic perspective of diplomacy Between theoretical approaches and practical models

د. عبد السلام موكيل

جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة (الجزائر)

abdelslam.moukil@univ-saida.dz

تاريخ الاستلام: 2023/05/08 تاريخ القبول: 2024/05/20 تاريخ النشر: 2024/07/15

ملخص:

المنظور الإسلامي للدبلوماسية يجعل منها قواعد عالمية صالحة لكل زمان ومكان، كما يدعوا بشكل صريح إلى مفهوم السلم العالمي وإلى التعاون والتكامل الدولي واحترام الحقوق والمعاهدات، وباعتماده على فكرة الوسطية فهو يقدم بديلا ومشروعا حضاريا في المجال الدبلوماسي يتجاوز المقاربات الوضعية والتي فشلت في حل كثير من الصراعات والأزمات، ولتوضيح ذلك استدلت الدراسة بأحداث السيرة النبوية وبعض الأمثلة من التاريخ الإسلامي والتفسيرات الفقهية للتعاليم الإسلامية، ووجود عدد معتبر من الأدبيات الإسلامية القديمة والحديثة في مجال الدبلوماسية، ومحاولة التأكيد على أخلقة العمل الدبلوماسي في الإسلام والذي يستند إلى قيم الأمانة والعدل وحماية الرسل والوفاء بالعهود وعدم الاعتداء، وإدانة الخيانة والغدر وقتل الرسل.

الكلمات المفتاحية: الإسلام، الدبلوماسية، الوسطية، الفقه الدبلوماسي، التمثيل الدبلوماسي، الأخلاق الدبلوماسية.

.**Abstract:**

The Islamique perspective of diplomacy makes it universal rules valid for every time and place, as it explicitly calls for the concept of world peace, for international cooperation and integration, respect for rights and treaties, and by relying on the idea of moderation, it presents an alternative and a civilized project in the field of diplomacy that goes beyond positivist approaches that failed to solve many problems. Conflicts and crises, and to clarify this, the study inferred the events of the Prophet's biography and some examples from Islamic history and jurisprudential interpretations of Islamic teachings, and the existence of a significant number of ancient and modern Islamic literature in the field of diplomacy, and an attempt to emphasize the ethics of diplomatic work in Islam, which is based on the values of trust, justice, protection of messengers and fulfillment of promises And non-aggression, and condemnation of treason, treachery and killing of messengers.

Keywords: Islam; diplomacy; moderation; diplomatic jurisprudence; diplomatic representation; diplomatic ethic.

مقدمة:

يمكن القول أن أول من أصل للفكر الدبلوماسي في الإسلام هو النبي ﷺ وذلك من خلال بعثه بالرسل إلى بيزنطة وفارس ومصر والحبشة وبلاد أخرى، ويرى مؤرخو السير وكتاب التاريخ الإسلامي أن الرسل الذين أوفدهم النبي ﷺ قد زودهم بكتب تعتبر وثائق تؤيد صحة انتدابهم ومهمتهم وتوضح الغرض المراد من إرسالهم وبعثهم.

أهمية الموضوع تكمن في اعتبار الإسلام نظام حضاري رائد لا يكتفي فقط بالجوانب النظرية أو القيمية بل يتجاوز المفهوم الديني المجرد إلى أطروحة الدولة، كما أنه من خلال النماذج والقيم العلمية يتبنى فكرة العالمية ويدعوا إلى التعلق بروح التسامح والعدالة واحترام الآخر، فإنه عرف أيضا هذا المصلح وإن لم يكن بشكله ومفهومه المعاصر ولكن من منظور التطبيقات الواقعية التي جاءت في القرآن الكريم أو سنة النبي ﷺ أو ذلك التطور التاريخي الذي عرفته الدولة الإسلامية، خلال حقبها المختلفة ومراحلها المتعددة.

سبب إختيار هذا الموضوع يعود بنا إلى التصور الذي يقدمه الإسلام للعمل الدبلوماسي ويركز على الجانب الأخلاقي والعملي من خلال بعض النماذج الواقعية والتي تعتبر في الحقيقة شواهد استرشادية للمنظور الدبلوماسي الخلاق.

النموذج الأكثر واقعية في تعامل الإسلام مع مسألة الدبلوماسية هو السلوك النبوي وما تميز به من تفوق وتألق لا نجد له نظيرا في التاريخ البشري، كما أن تتبع مسار وسيرة النبي ﷺ من خلال تعامله مع الأطراف الدولية القائمة آنذاك، أو من خلال دعمه لمواثيق السلم والصلح ودعوته للمنابذة والجزية قبل الحرب، أو تكريم الوفود والرسل وإرسال وقبول الهدايا، كل ذلك يؤشر على المقاربة الإسلامية في مجال التعامل الدبلوماسي الرشيد .

لعل من أهم الأدبيات الإسلامية التي أشارت إلى هذا الموضوع كتاب " رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة " الذي ألفه أبوعلي الحسين بن محمد المعروف بابن الفراء، ويتناول بالتفصيل كيف رفع فقهاء المسلمين منزلة الرسول والسفير وأنها تستمد حرمتها ومنزلتها من مكانة الرسل الذين بعثهم الله عزوجل للبشر ليبلغوا رسالاته ناهيا عن التعرض لمهمتهم أو المساس بهم، واستنبطوا من أحكام الدين تجاه تعظيم الرسل أساسا لمعاملة رسل الملوك معاملة كريمة.

المنظور الإسلامي للدبلوماسية يجعل منها قواعد عالمية صالحة لكل زمان ومكان، كما أنه يدعوا بشكل صريح إلى مفهوم السلم العالمي، وإلى التكامل والتعاون الدولي واحترام حقوق الإنسان، وباعتماده على فكرة الوسطية فإنه يقدم بديلا ومشروعا حضاريا في المجال الدبلوماسي يتجاوز المقاربات الوضعية المعاصرة والتي فشلت في حل كثير من الصراعات والأزمات الراهنة.

المنهج المعتمد في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي في المقام الأول والذي يمكن من خلاله كشف ملابسات المقاربة الدبلوماسية الإسلامية عبر سياقها التاريخي من المرحلة النبوية مرورا بالمراحل التاريخية الإسلامية المتعاقبة، كما تستعين الدراسة بمنهج دراسة الحالة والذي يركز على بعض النماذج والشواهد العملية في التعامل الدبلوماسي الإسلامي.

الإشكالية التي يطرحها هذا البحث:

إلى أي مدى أمكن للإسلام باعتباره إرثا تاريخيا وحضاريا أن يقدم منظورا واقعيا وتصورا عمليا متكاملا للعمل الدبلوماسي وأبجدياته ؟ وللإجابة على هذه الإشكالية تقترح هذه الدراسة المحاور التالية:

المحور الأول: الدبلوماسية في الأدبيات الإسلامية

المحور الثاني: التمثيل الدبلوماسي وأخلاقياته في الإسلام

1-الدبلوماسية في الأدبيات الإسلامية

1-1مفهوم الدبلوماسية في الإسلام:

تشير كلمة "الدبلوماسية" من خلال مفهومها المعاصر إلى أنها فن إدارة الأزمات الدولية بوسائل قادرة على تدارك الأخطار واحتوائها قبل أو بعد حدوثها.

ومن خلال التعريفات المتعددة لهذا المصطلح فإن الحضارات القديمة استوعبت هذا المفهوم وعرفته من خلال التطبيقات العملية في أنظمة حكمها، وقد تمكنت من ترسيخ تقاليد وقواعد معينة لضبط مسار تعاملها مع البيئة الخارجية التي كانت تتعامل معها.

تعتبر الدبلوماسية مصطلحا مشتقا من الكلمة اليونانية (Diploma) ومعناها الوثيقة أو الشهادة الرسمية التي تطوى وتصدر عن الشخص صاحب السلطة العلي، وتضمن لصاحبها امتيازات خاصة، كما كانت تطلق على التصاريح التي كان يمنحها القاضي لبعض الأفراد.[1]

لم تأخذ كلمة الدبلوماسية مدلولها الحقيقي إلا خلال القرن الثامن عشر، حيث انتشر هذا المصطلح بعد مؤتمر فيينا سنة 1815، وكذلك بظهور نخب سياسية مستقلة عن الطبقات الحاكمة وظهور التمثيل الدبلوماسي الدائم ، وعليه فإن الدبلوماسية تطلق في بعض الحالات على العمل أو المهنة في السلك الدبلوماسي.[2]

وبناء على ذلك فقد استقر مفهومها العام المعاصر على أنها: "مجموعة القواعد والإجراءات والمراسيم والمؤسسات والأعراف الدولية التي تنظم العلاقات بين الدول والمنظمات الدولية والممثلين الدبلوماسيين، بهدف خدمة المصالح العليا والسياسات العامة للدول ، وللتوفيق بين مصالح الدول بواسطة الاتصال والتبادل وإجراء المفاوضات السياسية وعقد الاتفاقات الدولية ".[3]

من خلال البحث والتمحيص في الأدبيات الإسلامية وعلاقتها بمصطلح الدبلوماسية القديم والمعاصر، فإننا نجد أن مجالات التاريخ الإسلامي والفقه والسياسة الشرعية وكتب السير، إضافة إلى ما تضمنته سيرة النبي ﷺ من مواقف وأحداث، كلها تشير إلى هذا المفهوم وإلى المعنى المراد منه، وإن لم تشر بشكل دقيق إلى المصطلح.

من بين هذه الأدبيات المهمة نجد:

– كتاب (السير الكبير) الذي وضعه تلميذ الإمام أبي حنيفة " أحمد بن الحسن الشيباني " ويعتبر من أكثر الكتب الفقهية التي تناولت هذا المفهوم، إضافة إلى كتاب(المبسوط) للإمام الأصولي " السرخسي "، وكتاب (الخراج) للقاضي أبي يوسف على الرغم من تركيزه على السياسة المالية، وكتاب (رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة) لأبي علي الحسين بن محمد المعروف بابن الفراء، باعتباره من المراجع المهمة التي تطرقت لمفهوم الدبلوماسية.[4]

كما نجد كتب وتصانيف أخرى عديدة تطرقت إلى هذا المفهوم ضمن مجال عام في الفقه الإسلامي يسمى بالأحكام السلطانية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر كتاب (الأحكام السلطانية) للماوردي، وكتاب (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية) لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب (مآثر الأناقة في معالم الخلافة) لأحمد بن عبدالله القلقشندي وكتاب (أخلاق الملوك) للجاحظ، وكتاب (الإبريز المسكوك في كيفية آداب الملوك) للقاضي محمد بن علي الأصبحي المعروف بشمس الدين الغرناطي ابن ألأزرق وهو عالم اجتماعي سلك طريقة العلامة " ابن خلدون ".[5]

أما الأدبيات المعاصرة فقد ركزت على مصطلح الدبلوماسية من خلال منظور العلاقات الدولية في الإسلام، أو دراسات الفقه الإسلامي ومقارنته بالقانون الدولي، ومن أمثلة هذه الدراسات:

– (النظم الدبلوماسية في الإسلام) لصلاح الدين المنجد، والذي لم يكتف بالقواعد الفقهية النظرية بل أضاف الأعراف والتطبيقات العملية عبر الدول المختلفة والعصور

المتتابعة، كما أظهر صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي وبين أن أصول الدبلوماسية الغربية الحديثة كانت معروفة لدى المسلمين، وأن ما استحدثه الغرب لم يكن في الحقيقة إلا نتيجة الظروف والتطور الذي فرضته الحتمية التاريخية.

– (دبلوماسية النبي ﷺ – دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر) لسهيل حسين الفتلاوي، وقد قارن فيه بين الدبلوماسية التي جاء بها الإسلام وبين الدبلوماسية الغربية المثبتة بقواعد القانون الدولي، وتناول شخصية النبي ﷺ الدبلوماسية وتأثيره على المحيط وكيفية إدارته للعلاقات الدبلوماسية.

– (السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى) إبراهيم أحمد العدوي، ضمنه معلومات مهمة لحقوق الجوار التي كانت سائدة بين الدولة الإسلامية والبيزنطية، وفيه مثال للتعايش السلمي الذي بدأ مع قيام الدولة الأموية، والتي اتخذت من دمشق عاصمة لها وبلغت حدودها جبال " طوروس" كحد فاصل بين الروم والمسلمين، وتعرض لمسألة الدبلوماسية والتوازن الدولي الذي نجم عن انفصال الأندلس عن الخلافة العباسية سنة 751م، فأضحت هناك دولتان مسلمتان تقابلان دولتان نصرانيتان هما إمبراطورية الروم البيزنطية ودولة الفرنجة في أوروبا. (6)

– (النظم والتراتيب الإدارية في الدولة النبوية) لعبدالحي الكتاني، والذي اعتمد فيه بشكل كلي على كتاب (تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول ﷺ من الحرف والصنائع والعملات الشرعية) لأبي الحسن علي بن محمد الخزاعي المتوفى سنة 1387م والملقب بذي الوزارتين في عهد الدولة المرينية .

وعلى الرغم من تعدد هذه الأدبيات قديما وحديثا، فإن القيم الإسلامية مازالت محل بحث ودراسة في مجال القواعد والأعراف والتقاليد الدبلوماسية، كما أنه لا يمكن إغفال حقيقة أن العالم اليوم هو بحاجة ماسة إلى مثل هذه المبادئ والقيم الإسلامية في ظل الأزمات والانتكاسات الدبلوماسية الراهنة.

2-1 الفقه الدبلوماسي في التاريخ الإسلامي:

قدم النبي ﷺ نموذجا راقيا في التعامل الدبلوماسي من خلال العلاقات المتميزة التي أحكم بناءها مع الزعماء والملوك، وقد اختار أسلوبا فريدا من أساليب الدعوة إلى الله وهو مراسلة الأمراء والرؤساء وقادة الدول، ولقيت هذه الخطوة أثرا بالغا في إقناع بعضهم بالإسلام، فمنهم من أظهر الود والاحترام ومنهم من آمن واستجاب للدعوة والبعض أنكرها وأعرض عنها، وحققت هذه الخطة الدبلوماسية الفريدة نتائج مهمة في مسار الدعوة الإسلامية من خلال ردة الفعل وطبيعة الرد السياسي والعسكري.(7)

ومن أهم المراسلات التي قام بها النبي ﷺ:

كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي واسمه " أصحمة بن الأبجر "، كتب إليه النبي ﷺ مع عمرو بن أمية الضمري في شهر محرم من السنة السابعة للهجرة.

كتاب النبي ﷺ إلى "جريج بن متى" الملقب بالمقوقس ملك مصر والإسكندرية، واختار لحمل هذه الرسالة "حاطب بن أبي بلتعة"، وقد ذكرت بعض الروايات أن حاطب لما دخل على المقوقس قال له إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك غيرك، فقال المقوقس إن لنا دينا لن ندعه إن لنا دينا لن ندعه إلا لما هو خير منه. (8)

وكتب النبي ﷺ إلى كسرى ملك فارس، واختار لحمل هذا الكتاب "عبد الله بن حذافة السهمي"، ولما قرأ كسرى الكتاب مزقه وقال عبد حقير من رعيتي يكتب اسمه قبل اسمي، ولما بلغ النبي ﷺ ذلك قال عنه "مزق الله ملكه " وأدركته دعوة النبي ﷺ فهزمه الروم، ثم سقط ملكه بعد الفتح الإسلامي. (9)

وكتب النبي ﷺ إلى ملك الروم "هرقل" واختار لحمل هذا الكتاب "دحية بن خليفة الكلبي" وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر ، وبعث " العلاء بن الحضرمي " إلى "المنذر بن ساوى العبدي" ملك البحرين .

ما يميز هذه الرسائل هو فراسة النبي ﷺ في اختيار الرسل والمبعوثين وتقديره للكفاءات والرجال، فكان يختار لكل مهمة ورسالة الشخص المناسب والذي يحمل المواصفات المطابقة لطبيعة ظروف المبعوث إليه، فيختار الوفادة على الملوك والأمراء من يجمع بين حسن المظهر وفصاحة اللسان وحضور البديهة والفطنة والكياسة والذكاء. (10)

المتأمل في جملة الرسائل التي بعثها النبي ﷺ إلى الملوك هو احترامه وتقديره لمقام هؤلاء من خلال ختمه الخاص الذي اتخذه وهو يعلم أنهم لا يقرؤون الكتاب إلا بعد ختمه، إضافة إلى تعظيمه لهم مع ما تحمل الرسالة من عبارات دقيقة وبليغة ومؤثرة، وتواضعه واضح من خلال كتابة اسمه مجردا من أية ألقاب أو تعظيم كالرسالة التي بعث بها إلى المقوقس وفحواها:

" بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى أما بعد أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط ".

الكتب التي بعث بها النبي ﷺ إلى الملوك تكاد تكون بنص واحد والاختلاف يسير بينها، فكتاب قيصر الذي حمله إليه دحية بن خليفة الكلبي هذا نصه:

" بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإن عليك إثم الإريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات وكثر اللغط عنده ويروى أنه كان عنده حينئذ أبو سفيان وجماعة من أصحابه فأمر بإخراجهم، والكتاب الذي بعثه النبي ﷺ إلى المقوقس عظيم مصر لا يخرج في معناه وأسلوبه عن الكتاب السابق إلى هرقل، غير أن المقوقس أحسن تلقي الكتاب وأجاب عليه وبعث إلى النبي ﷺ بجملة من الهدايا فيهم مارية القبطية أم إبراهيم، كما أن الكتابين اللذين أرسلهما النبي ﷺ إلى هرقل والمقوقس يتضمنان رأيه في أهل الكتاب وما بينهم وبين المسلمين من خلاف، فدعاهم جميعا إلى كلمة

سواء يمكن أن يتفق عليها جميعا أهل الكتب المنزلة وذلك من خلال الآية القرآنية التي تضمنتها الرسالاتان. (11)

كان من هذه الرسائل التي أدت إلى نتائج باهرة ومؤثرة رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي، فبعث كتابا مع أمية بن محمد الضمري نصها:

" بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة وسلام عليكم فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة فحملت بعيسى مخلقة من روحه ونفخة كما خلق آدم بيده ونفخه ...".

وردا على هذه الرسالة كتب النجاشي إلى النبي ﷺ:

" بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحمة بن ابجر، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته لا إله إلا الله الذي هداني للإسلام، وقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما أكبرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض أن عيسى ما يزيد على ما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادق مصدق قد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين... فإني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد ما تقول حق " ثم بعث إلى النبي ﷺ بهدايا كثيرة وثياب وطيب وسير ثلاثين رجلا من القسيسين ينظرون إلى كلامه.

وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن الحبشة اجتمعوا فقالوا للنجاشي إنك فارقتنا ديننا وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفنا، وقال اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا حيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا، ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحبة وصفوا له، فقال يا معشر الحبشة ألست أحق الناس بكم ؟ قالوا بلى، فقال كيف

رأيتم سيرتي فيكم ؟، قالوا خير سيرة، قال فما بكم، قالوا فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبده ورسوله، قال فما تقولون أنتم في عيسى ؟، قالوا نقول هو ابن الله، فقال النجاشي ووضع يده على صدره على قبائه وهو يشهد أن عيسى بن مريم لم يزد على هذا وإنما يعني على ما كتب فرضوا وانصرفوا، فبلغ رسول الله ﷺ فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له.(12)

من الواضح والجلي أن هذه الرسائل قد حققت أثرا كبيرا ومشهودا على صعيد إشعاع السلم العالمي والتقارب بين الدول ويمكن القول أنها أفرزت علاقات دبلوماسية توجت بإسلام ملك الحبشة النجاشي ومعه طائفة معتبرة من أتباعه، كما أمنت جبهة غرب البحر الأحمرة هي ثمرة مهمة من ثمرات الدبلوماسية النبوية الرشيدة.(13)

قوة التأثير الدبلوماسي للنبي ﷺ على الزعماء والقادة كان نتاج حكمة وأخلاق وسلوك وبعد نظر، ولم يكن يحب التشفي حال انكسار أعدائه وذلتهم كما كان الشأن مع عدي بن حاتم الطائي ومع عبدياليل بن عمرو زعيم قبيلة ثقيف ومع ثمامة بن أثال ملك اليمامة.(14)

كما أن النبي ﷺ حقق مكاسب دبلوماسية كبيرة من خلال ما اصطلح عليه "الزواج السياسي" والذي لم يلجأ إليه إلا عندما تدعوه الضرورة إلى ذلك وظروف الموقف كإرادة الصلح وتخفيف حدة الكراهية والأحقاد والدخول في الإسلام، كما كان الحال لما تزوج صفية بنت حيي بن أخطب زعيم اليهود وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق، لما تزوجها النبي ﷺ بعد حربه مع بني المصطلق فقالوا أصهار رسول الله ﷺ وأرسلوا ما بأيديهم، وقد أعتق بتزويجه إياها مئة أهل بيت من بني المصطلق حتى قالت عائشة رضي الله عنها: " فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها ".(15)

هذا الزواج الدبلوماسي كان له الأثر الكبير في إنهاء الحرب مع بني المصطلق وأفضى إلى بناء علاقة قوية ووطيدة بين الجانبين استنادا إلى هذه المصاهرة الكريمة.

حكمة النبي ﷺ هي التي حولت صلح الحديبية غلى انتصار كبير لرسالة الإسلام، كما أن المسار التفاوضي الذي طبع هذا الصلح دل على حنكة النبي ﷺ وتركيزه على تفاصيل ومضمون هذا الاتفاق بعيدا عن الشكل والألقاب، ورغم معارضة بعض الصحابة لهذا الاتفاق إلا أنهم أدركوا فيما بعد رؤية النبي ﷺ الثاقبة والديبلوماسية الفذة في تحقيق نتائج باهرة ما كان لهم أن يحوزوها بالسيف والقتال. (16)

الدبلوماسية للنبي ﷺ هي التي أظهرت الإسلام كقوة حضارية رائدة، وحققت وحدة العرب السياسية وأسست الدولة الإسلامية، ومكنت العرب من أن يكونوا قوة عسكرية لا يستهان بها ولم تعد علاقاتهم مع جيرانهم مجرد علاقات تجارية، بل تطورت إلى علاقات دولية أصيلة. (17)

لم يحد الخلفاء الراشدون عن الخط والمسار الدبلوماسي الذي رسمه النبي ﷺ، خصوصا فيما يتعلق بتفضيل السلم ونبذ الحرب، والاعتراف بسيادة الدولة الإسلامية وسلطانها في مقابل الإقرار والاعتراف بسيادة الممالك الأخرى، وكان نمط المبايعة في الإسلام نوعا من الاعتراف بالسيادة للحاكم. (18)

لقد أولى" أبو بكر الصديق" عناية خاصة في عقد معاهدات الهدنة مع الدول المجاورة ولم يكن المراد منها إنهاء الحرب القائمة وإنما تفادي حرب مستقبلية، وهو ما يطلق عليه الآن بالمعاهدات الدولية الخاصة بعدم الاعتداء، أما الفاروق" عمر بن الخطاب" فكانت له عناية بالجانب الدبلوماسي فأنشأ لذلك ديوان الرسائل، وحدد شروط للمبعوثين أو الرسل ومن بينها أن يكون له اسم جميل وشكل وسيم ولسان فصيح، كما أن العهد الذي أعطاه لأهل القدس يعتبر بحق أفضل وثيقة تاريخية للقانون الدولي في بعده الإنساني، وخصص الخليفة "عثمان بن عفان" مبالغ من بيت المال لاستقبال الرسل والسفراء والمبعوثين من قبل الملوك والسلاطين والأمراء، وحرص الخلفاء الراشدون على إقامة علاقات دبلوماسية ثابتة ومستقرة مع الدول والحضارات الأخرى كما أشار عمر حين قال: "وددت لو أن بيننا وبين فارس جبلا من نار لا نصل إليهم ولا يصلون إلينا"، واستمرت العلاقات الدبلوماسية بين المسلمين

وبيزنطة في عهد خلفاء بني أمية، وشهدت نشاطا ملحوظا في عهد الخليفة الأموي "عبد الملك بن مروان"، حيث أرسل الخليفة عبدالملك القاضي "عامر بن شراحيل الشعبي" الذي أدرك خمسمائة من صحابة النبي ﷺ وكان فريد في عصره مبعوثا وسفيرا إلى الإمبراطور البيزنطي "جستنيان الثاني "، فلما دخل عليه وتحدث معه أعجب به ملك الروم وحسد به عبدالملك والمسلمين ودبر له مكيدة، فكتب له رسالة يسلمها للخليفة يقول فيها (عجبت من العرب كيف ملكت غير هذا...) فقال عبد الملك للشعبي: أتدري لما كتب هذا ؟ قال الشعبي لا، فقال عبد الملك حسدني بك فأراد أن يغريني بقتلك، فقال الشعبي: لو كان رآك يا أمير المؤمنين ما استكثرني، فلما بلغ ذلك ملك الروم قال: والله ما أردت إلا ذاك. (19)

كما أن الخليفة " عمر بن عبد العزيز " كان يحبذ الجانب الدبلوماسي وينبذ أسباب القهر والحرب، وقصة فتح "سمرقند" التي وقعت في زمن خلافته دليل واضح على ذلك، فلقد فتح القائد قتيبة بن مسلم الباهلي سمرقند عنوة دون منابذة، أي دون إمهال أهلها بين الإسلام أو الجزية أو الحرب ويمهلهم ثلاثا كعادة المسلمين ثم يبدأ القتال، فلما علم أهل سمرقند بما وقع كتبوا رسالة إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز فأجلس لهم القاضي "جميع بن حاضر الباجي"، وكان الحكم مفاجئا لأهل سمرقند فقد قضى بإخراج جميع المسلمين من سمرقند وإعادة فتحها على الطريقة الإسلامية المعهودة، فقال أهل سمرقند هذه أمة حكمها رحمة ونعمة فدخلوا الإسلام وما ارتد منهم أحد بعد ذلك. (20)

كما بلغ النشاط الدبلوماسي الإسلامي أوجه في عهد الخليفة العباسي "هارون الرشيد" والذي عقد صلحا مع الإمبراطورية البيزنطية، وجرت مراسلات بينه وبين الإمبراطورة "إيرين"، كما تطورت العلاقة بينه وبين الملك الفرنسي "شرلمان" ومنح الرشيد لقب حامي قبر المسيح في القدس، وأهداه هدايا ثمينة جدا ونادرة منها "الإسطرلاب" وكان أعظم اختراع في عهد الرشيد. (21)

ومن المعلومات المهمة عن النشاط الدبلوماسي الإسلامي في العصور الوسطى ما ذكره الباحث إبراهيم أحمد العدوي في كتابه القيم "السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى"، وقد تضمن هذا الكتاب جملة من الحقائق التاريخية المهمة التي أوردها المؤلف بداية من حقوق الجوار والتي كانت قائمة بين الدولة الإسلامية وبيزنطة، وقامت على التعايش السلمي منذ قيام الدولة الأموية والتي اتخذت من دمشق عاصمة لخلافتها واستقرار حدودها عند جبال "طوروس" والتي كانت حدا فاصلا بين المسلمين والروم، ثم تعرض الباحث إلى دبلوماسية التوازن الدولي والتي حدثت نتيجة انفصال الأندلس عن الخلافة العباسية عام 751م، فأصبحت هناك دولتان في العالم الإسلامي تقابلهما دولتان نصرانيتان هما إمبراطورية الروم البيزنطية ودولة الفرنجة في أوروبا والتي بلغت مجدا عظيما في عهد ملكها شارلمان أو كارل الكبير كما يسميه الألمان وذلك سنة 800م وأضحت منافسا قويا وخطيرا لأباطرة الروم على العالم النصراني ومستمدة قوتها من الدعم البابوي الروحي، وأدى هذا السجال المتعاظم بين الدولتين إلى فقدان إمبراطورية الروم الشرقية زعامتها على نصارى الغرب في أوروبا، وهذا الوضع السياسي المحتدم والجديد قد أفرز نشاطا دبلوماسيا قويا، فالخلافة العباسية في بغداد لم تعد ترسل سفاراتها إلى القسطنطينية فحسب بل بدأت تبعث بها إلى بلاد الفرنجة لتجعل منها سندا وقوة ضد خصومها من الأمويين في بلاد الأندل، كما أم الروم لم يرسلوا سفاراتهم إلى بغداد فقط وإنما أرسلوا بها إلى قرطبة عاصمة الدولة الأموية في الأندلس ليجعلوا منها أيضا عضدا وسندا لهم في مواجهة خصومهم من الفرنجة، وقد اقتبس الباحث رسالة بعث بها إمبراطور الروم تيوفيل (829م) إلى الخليفة العباسي المأمون بشأن تبادل الأسرى والدفع بالحياة الإقتصادية بين المسلمين والروم فجاء في نص تلك الرسالة " ...وقد كتبت إليك داعيا إلى المسالمة، راغبا في فضيلة المهادنة، لتضع أوزار الحر عنا، ويكون كل واحد لكل واحد وليا وحزبا، مع اتصال المرافق والفسيح في المتاجر، وفك المستأسر وأمن الطرق." [22]

2- التمثيل الدبلوماسي وأخلاقياته في الإسلام

2-1 التمثيل الدبلوماسي ومشروعيته في الإسلام

أعطى الإسلام مكانة ومنزلة عظيمة للتمثيل الدبلوماسي ولم يمانع على الإطلاق من إقامة علاقات قوامها الود والاحترام مع الأطراف الدولية المتاخمة لحدود الدولة الإسلامية، وقد تمخض عن هذه العلاقات تبادل السفراء والبعثات الدبلوماسية بناءا على فكرة (عقد الأمان) الذي يمنح السفير أو مبلغ الرسالة، كما دلت عليه النصوص القرآنية أو الممارسات النبوية، فالقرآن الكريم يشير إلى مضمون هذه الفكرة في قوله تعالى:﴿وَإِنَ اَحَدٌ مِّنَ اَلْمُشْرِكِينَ اِسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ اَللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَامَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة:26).

فإذا دخل دبلوماسي أرض الإسلام كان لزاما حفظ حرمته ودمه حتى يبلغ ما جاء من أجله، وأمنه هو مسؤولية المسلمين وقادتهم وجب مراعاتها في جميع الظروف والأحوال، وفيما يتعلق بممارسة النبي ﷺ فإنه أوفد عددا من الرسل والسفراء إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى رسالة الإسلام، كما استقبل النبي ﷺ رسلا وموفدين من الأقطار القريبة والبعيدة فأكرمهم وأمنهم وفوق ذلك حفهم بالعناية والرعاية، ومن ذلك استقباله لرسولي مسيلمة الكذاب ورغم شهادتهما بأن مسيلمة الكذاب رسول الله فقد عفا عنهما ولم يأمر بقتلهما.[23]

والنبي ﷺ ولكمال حرصه على مسألة التمثيل الدبلوماسي، فقد كان يتخير الشخصيات المناسبة لمثل هذه المهنة، فقد بعث النبي ﷺ "حاطب بن أبي بلتعة" ومعه رسالة إلى المقوقس عظيم القبط، ودار بينها حوار ومناقشة، فقال المقوقس (أحسنت إنك حكيم جئت من عند حكيم ...)، بل إنه ﷺ كان يحرص كل الحرص على أن يتعلم هذا المبعوث أو الرسول لغة القوم المبعوث إليهم، قال ابن سعد في طبقاته (وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم ..).[24]

والتمثيل الدبلوماسي في الإسلام كان له مقاصد وغايات مهمة يأتي على رأسها مجال الدعوة إلى الله والتعريف بالأخلاق والقيم التي يتضمنها هذا الدين ويدعوا إليها الناس كافة.

ومن هذا المنطلق فإن الإسلام كان سباقا في ابتكار التمثيل الدبلوماسي وإن لم يكن بهذا الاسم المتعارف عليه الآن، ولكن التطبيقات العملية لنظام البعثات التي استمرت فترات طويلة في الدول الأخرى أو في الدولة الإسلامية ذاتها كانت واقعا ملموسا، ففي الخلافة العباسية وحتى في الأندلس كانت ممثليات دبلوماسية تبقى لعدة سنوات، فالممثلية التي أرسلها ملك الفرنجة (ببين) إلى الخليفة العباسي " أبي جعفر المنصور" سنة 148 هجرية مكثت وقتا طويلا في بغداد قدرت بثلاث سنوات، كما أرسل الخليفة الأندلسي "عبد الرحمن الناصر" هشام بن هديل سفيرا إلى الإمبراطور البيزنطي (قسطنطين) وأقام سنتان في هذه السفارة.

كما أن التمثيل الدبلوماسي يخضع لضابط الحصانة، فالرسل والسفراء في الفقه الإسلامي يتمتعون بحماية خاصة فلا يجوز الاعتداء عليهم ولا إهانتهم ولا التعرض لممتلكاتهم، كما يعفون من أية ضرائب مهما كانت طبيعتها، وتسري هذه الحصانة عليهم طيلة فترة وجودهم في دار الإسلام وحتى انتهاء مهامهم سواء كان وجودهم وقت السلم أو الحرب[25]

لقد ثبت في السنة النبوية المباركة أن النبي ﷺ كان يخص الرسل والمبعوثين بالحصانة الكاملة، فلم يتعرض أي رسول للقتل أو التعذيب أو التنكيل، وفوق ذلك فإنه ﷺ كان يعطي الأمان لغير المسلمين، وإذا أعطى أحد المسلمين أمانا لغير مسلم قبل النبي ﷺ ذلك وأمنه وأوفى له ذمته، وأبلغ مثال نبوي على ذلك إجارة أم هانئ لرجل مشرك، فقد أوردت كتب السير أن أم هانئ قالت: (لما نزل الرسول ﷺ مكة، فر إلي رجلان من أحمائي من بني مخزوم وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي قالت فدخل علي بن أبي طالب أخي فقال: والله لأقتلهما، فأغلقت عليهما باب بيتي ثم جئت رسول الله ﷺ فوجدته يغتسل من جفنة فيها أثر العجين وفاطمة تستره بثوبها، فلما إغتسل أخذ ثوبه ثم صلى صلاو الضحى ثن انصرف إلي فقال: مرحبا وأهلا يا أم هانئ ما جاء بك، فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي،

فقال: " قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت، فلا يقتلهما" (صحيح البخاري، باب أمان النساء وجوارهن، رقم الحديث 3171).

وقد أجمع أهل العلم أن أمان المرأة جائز وفي هذه الحادثة دليل على مشروعية الأمان والحصانة، والشريعة الإسلامية لا تكفل الأمان والحصانة للدبلوماسيين وقت السلم فقط بل حتى خلال الحروب والمناوشات وتمنحهم في كل الظروف القيام بمهامهم ، والمبعوث الدبلوماسي له الحق في دخول بلاد المسلمين دون الحاجة إلى عقد الأمان، وحتى في حال قتل الأعداء للرسل والسفراء المسلمين، فإن الإسلام لم يجز بأي حال من الأحوال قتل رسل الأعداء وهو ما حدث مع النبي ﷺ، فقد تلقى كتاب من مسيلمة الكذاب يقول فيه (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك أما بعد فإني قد أشركت في الأمر معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشا قوم يعتدون)، ولما قرأ الكتاب على النبي ﷺ تعجب من جرأة مسيلمة الكذاب على الله وكتب إليه يقول: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب السلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين).[26]

واختار النبي ﷺ حبيب بن زيد رضي الله عنه ليحمل رسالته إلى مسيلمة الكذاب، ولما دخل عليه وناوله الكتاب غضب وجمع قومه حوله وأوقف حبيب بن زيد أمامه وسأله عن الكتاب فقال له: (أتشهد أن محمدا رسول الله، قال: نعم، وتشهد أني رسول الله فقال: إن في أذني صمما عن سماع ما تقول، وكان يكرر هذا السؤال والجلاد يقطع في كل مرة شيئا من جسده حتى مات شهيدا رضي الله عنه" .[27]

وما يمكن أن نقف عليه من قصة حبيب بن زيد مبعوث النبي رضي الله عنه هو ذلك الفارق في معاملة المبعوثين الدبلوماسيين بين الإسلام وغيره، فالنبي رضي الله عنه شهد أمامه رسول ومبعوث مسيلمة بأنه رسول الله ولم يؤذه بل عامله معاملة حسنة، على النقيض تمام من فعل مسيلمة مع مبعوث رسول الله رضي الله عنه حيث عذبه ثم قتله، والجدير بالذكر أن الشريعة الإسلامية ميزت منذ مئات السنين بين المقاتلين وغير المقاتلين، والإسلام بسماحته حض على حماية المدنيين

المبعوثين، الأمر الذي لم يتوصل إليه المجتمع الدولي إلا في القرون الأخيرة وبعد جهد ومساع استمرت أجيالا كاملة.[28]

2-2 أخلاقيات العمل الدبلوماسي في الإسلام

العمل الدبلوماسي عموما بحاجة إلى أخلاقيات وقيم ينبغي مراعاتها، وباعتبار الإسلام دينا يحض على معالي الأخلاق والفضائل والآداب فإنه لم يغفل في الحقيقة عن التمثل بها والإشارة إليها في المجال الدبلوماسي.

من بين أهم القيم التي تميز بها الرسل والسفراء في الإسلام الأمانة والإخلاص في تبليغ الرسالة وأداء المهمة على أكمل وجه، هذا السلوك هو الذي أشار إليه القرآن الكريم صراحة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ (النساء: 58).

هذه الصفة تقتضي من الرسول أو السفير أن يكون وفيا لما يحمل من تبليغ دقيق فيما يتخذه من قرار بعيدا عن أي خلفية أو رأي شخصي لأنه يمثل من أوفده ولا يمثل نفسه بأي حال من الأحوال، ومن الشواهد الدالة على ذلك ما جاء في كتاب " أخلاق الملوك " للجاحظ المتوفى عام 255 هـ تحت عنوان آداب السفير مت نصه " ومن الحق على الملك أن يكون رسوله صحيح الفطرة والمزاج، ذا بيان وعبارة، بصيرا بمخارج الكلام وأجوبته، مؤديا لألفاظ الملك ومعانيها، صادق اللهجة، لا يميل إلى طمع أو طبع، حافظ لما حمل، وعلى الملك أن يمتحن رسوله محنة طويلة قبل أن يجعله رسولا ".[29]

ومن المواقف الشاهدة والمؤثرة على احترام هذا الخلق الدبلوماسي هو كيفية تعامل النبي ﷺ، فقد وفد عليه " أبو رافع" رسول قريش واستمع من النبي ﷺ وتأثر به تأثرا بالغا مما جعله يقبل على الإسلام ويرغب فيه، لكن النبي ﷺ رفض ولم يقبل منه احتراما لعهود الدبلوماسية ومراعاة جانب الأمانة في التبليغ وما يترتب عنه من نقل الحقيقة، وفق التقاليد الدبلوماسية المتعارف عليها وقال له " إني لا أخيس بالعهد ولا أحبس الرد ولكن ارجع إليهم فإن كان في قلبك الذي فيه الآن فارجع إلينا "، قال الخطابي " يشبه أن يكون المعنى في ذلك

أن الرسالة تقتضي جوابا والجواب لا يصل إلى المرسل إلا مع الرسول بعد انصرافه، فصار كأنه عقد وهذا العقد لازم مدة مجيئه ورجوعه". (30)

وقصة الصحابي " أبي لبابة " تأكيد لهذا الخلق الدبلوماسي، فأثناء حصار بني قريظة وهم طائفة من اليهود غدروا بالنبي ﷺ ونقضوا العهد الذي بينه وبينهم، وأمام الحصار المطبق الذي فرض عليهم لم يكن أمامهم من بد إلا الاستسلام، فبعثوا إليه أن أرسل إلينا أبا لبابة نستشيره وكان حليفا لهم وكان ماله وولده في منطقتهم، فلما رأوه قام إليه الرجال وبكت النساء والصبيان فرق لهم وقالوا: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد قال: نعم وأشار بيده إلى حلقه يعني الذبح، ثم علم من فوره أنه خان الله ورسوله، فمضى إلى المسجد وربط نفسه إلى سارية المسجد وحلف ألا يحله إلا رسول الله ﷺ وأنه لن يدخل أرض بني قريظة أبدا، فلما علم النبي ﷺ بذلك قال: " أما أنه لو جاءني لاستغفرت له، أما أنه قد فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه"، كان بإمكان أبي لبابة أن يخفي الأمر وأن يستكتم اليهود، ولكنه تذكر رقابة الله وتذكر حق النبي ﷺ وهو الذي ائتمنه على سر عظيم، ففزع لذلك وأقر بذنبه وبادر إلى العقوبة التلقائية دون انتظار تحقيق أو توقع عقوبة. (31)

من الأخلاق التي اتسم بها السفراء والممثلون الدبلوماسيون في الإسلام قوة الشخصية والإلمام بفحوى الرسالة والمهمة الموكل بها وطبيعة وقيم القوم المبعوث إليهم، فقد بعث "سعد بن أبي وقاص" ربعي بن عامر إلى رستم قائد الفرس، فاقتحم بفرسه ورمحه خيمة رستم وجلس على الأرض واتكأ على رمحه فقال له رستم: ما دعاك لهذا ؟ فقال له: إننا لا نحب أن نجلس على زينتكم، فقال له رستم: ما جاء بكم ؟ فقال له ربعي: لقد بعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة"، ثم قال رستم لجلسائه بعد أن انصرف ربعي بن عامر: أرأيتم من منطقه أرأيتم من قوته أرأيتم من ثقته، ورغم أن رستم قد أعجب بربعي بن عامر وحاول أن يعقد صلحا مع المسلمين، إلا أن قومه رفضوا واتهموه بالجبن. (32)

حتى ينجح الدبلوماسي في مهمته لابد له من معرفة ثقافة البلد ولسان وأحوال من أرسل إليهم، وأن يلتزم الأدب والاحترام في معاملة الملوك والسلاطين والأمراء، وهكذا كانت وصايا النبي ﷺ لكل رسول أو مبعوث يريد إرساله، وفي وصيته ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما أرسله إلى اليمن أبلغ مثال ودليل فقد قال له في وصيته: " إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإن فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم"، هذه الوصية الخالدة حملت كثيرا من المعاني والقيم فقد أوجبت على السفير في الإسلام معرفة ثقافة وأعراف البلد المبعوث إليه، ثم التدرج والحكمة في معاملتهم وعدم الطمع فيما في أيديهم، وكلها شمائل وأخلاق حرص النبي ﷺ أن يعلمها ويزرعها في قلوب السفراء والدبلوماسيين المسلمين، وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى نموذج متميز في الإسلام جمع الأخلاق والآداب العظيمة واستطاع أن يؤثر في الآخرين، وأن يحقق نجاحا باهرا قلما نجد له نظيرا في التاريخ، إنها السفارة الناجحة التي قام بها الصحابي الجليل "جعفر بن أبي طالب" إلى الحبشة وملكها "النجاشي"، وقد بلغ من تأثر النجاشي بجعفر أنه لما رزق بمولود وكان جعفر قد ولد له مولود أيضا، فسأل النجاشي ما سميت ابنك يا جعفر ؟ فقال: عبد الله، فاختار النجاشي هذا الاسم لولده على الرغم من أن الحبشة لم تعرفه أصلا.[33]

حقيقة القيم والأخلاق الدبلوماسية التي حملها الإسلام إلى العالم ركزت في مضمونها على المحبة والتآخي والاحترام بين الشعوب والدعوة إلى الحوار واحترام الآخر، وتأكيدا على هذا المعنى فقد أعلن الإسلام رسالته العالمية إلى كافة البشرية في كل مراحلها وعبر تاريخها حين جعل من الرحمة والسلام والإخاء الإنساني هدفا أرقى من خلال قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، ولم يقل رحمة للمسلمين أو المؤمنين بل قال للعالمين، أي للإنسانية أجمع .[34]

من خلال هذه الأخلاق والقيم والآداب وغيرها كثير، فإن الدبلوماسية الإسلامية قد استجمعت كثيرا من مبادئ وخصائص الدبلوماسية الحديثة، بل وتفوقت عليها أخلاقيا وقامت على رباط وثيق بين الدين والسياسة والقانون والاستراتيجية والاقتصاد، وقدمت للعالم نماذج فريدة ورائدة في مجال العمل الدبلوماسي الناجح والأمثل.

خاتمة:

من خلال ما سبق يمكن الإشارة إلى النتائج التالية:

- لقد اعتنى الإسلام كثيرا بالمجال الدبلوماسي وإن لم يتم استخدام المصطلح بشكل دقيق في الأدبيات الإسلامية الكلاسيكية، غير أنه قد عبر عنها بألفاظ ومصطلحات متعددة كالسير والحكمة وآداب الملوك وكلها تشير إلى محتوى وجوهر الدبلوماسية على مستوى الممارسة.
- الشريعة الإسلامية ركزت على ربط شبكة من العلاقات الدبلوماسية مع الأمم والحضارات والمجتمعات الأخرى بنيت على أساس الاحترام والدعوة إلى الله وتبليغ رسالة الإسلام وقيمه الإنسانية والحضارية والأخلاقية،
- الدبلوماسية الإسلامية واقعية وليست مجرد ادعاءات ومظاهر وشكليات كما نراه في النظريات الحديثة، بل هي تستند على مفهوم السلام العالمي والثقة بين الأطراف الدولية انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ .
- لابد من الإشارة إلى العبقرية الدبلوماسية للنبي ﷺ وإلى النجاحات الغير مسبوقة في التاريخ البشري من خلال دعوته وحكمته وأخلاقه وشمائله وعفوه وصفحه وإحسانه، كما أنه ﷺ كان داعيا للسلم وحقن الدماء وقطع أسباب النزاع والحرب والصراع، والزواج الدبلوماسي كان خير شاهد ودليل على ذلك .

- أثمرت المراسلات النبوية إلى الملوك ورؤساء الدول نتائج مؤثرة وغير مسبوقة خصوصا مع الحبشة وملكها النجاشي (إفريقيا)، وإيصال صوت الإسلام إلى أرض فارس (آسيا)، وإلى بلاط الرومان وقيصرها (أوروبا).
- النهج الدبلوماسي الإسلامي استمر بعد وفاة النبي ﷺ وتطور بشكل لافت خلال الخلافة الراشدة وحكم الأمويين والعباسيين، ولم يعد هناك تمثيل دبلوماسي مؤقت، بل ارتقى إلى تمثيل دائم وما صاحب ذلك من توطيد المسلمين لعلاقاتهم المتميزة مع الحضارات الأخرى، كما مكن من معرفة ما وصل إليه المسلمون من تقدم وسبق حضاري وعلمي لا نظير له.

وفي الأخير فإن أخلاقيات وقيم العمل الدبلوماسي التي أكد عليها الإسلام من خلال التطبيقات العملية والنماذج كانت تهدف إلى زرع السلم والأمان والتعاون الدولي القائم على الاعتراف بالآخر ونبذ التطرف والتعصب، ومحاربة كل أشكال التمييز والإقصاء.

وهناك جملة من **التوصيات** ينبغي التذكير بها:

- التركيز على إشاعة الفكر الدبلوماسي الإسلامي باعتباره إرثا تاريخيا وحضاريا مشرقا وبالنظر إلى استناده على جوانب قيمية وأخلاقية يفتقر إليها الفكر الدبلوماسي المعاصر .
- توجيه كل الجهود البحثية والعلمية من أجل تسليط الضوء على الجوانب التطبيقية والعملية للدبلوماسية الإسلامية خصوصا خلال الفترة النبوية والتي تمثل مرجعا أساسيا في هذا المجال. عقد الملتقيات الوطنية والدولية حول الدبلوماسية الإسلامية وإثراء الحقل المعرفي والفكري بالتراث الدبلوماسي لدى المسلمين خلال العصور الإسلامية المتعاقبة .
- اقتراح تخصص الدبلوماسية الإسلامية في الجامعات والمراكز الجامعية خصوصا في الشعب والتخصصات التي تعنى بالبحث في الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي السياسي عموما .

قائمة المصادر والمراجع:

أولا : القرآن الكريم

ثانيا : السنة النبوية

ثالثا : الموسوعات

1- عبدالوهاب الكيالي، "الدبلوماسية" في: **موسوعة السياسة**، ج.2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985

رابعا : الكتب:

1-ابراهيم أحمد العدوي، **السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى**، القاهرة: دار المعارف، 1957 .

2-أبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، **البداية والنهاية**، ج3، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001.

3-اسماعيل علي محمد، **فقه الدعوة في ضوء موقف جعفر أمام النجاشي رضي الله عنهما**، المنصورة: مؤسسة شروق للترجمة والنشر، 2013 .

4-الجاحظ، **كتاب التاج في أخلاق الملوك**، بيروت: دار الفكر، 1955.

5-سعيد محمد أبو عبادة، **الدبلوماسية تاريخها مؤسساتها أنواعها قوانينها**، عمان: دار الشيماء للنشر والتوثيق، 2000 .

6-شوقي أبو خليل، **هارون الرشيد أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا**، دمشق: دار الفكر، 1996.

7-صائب عريقات، **عناصر التفاوض بين علي وروجر فيشر**، الدوحة: المعهد الدبلوماسي، 2013 .

8-صفي الرحمن المباركفوري، **الرحيق المختوم**، لبنان: دار الكتاب الحديث، 2011 .

9-عبدالسلام هارون، **تهذيب سيرة ابن هشام**، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985 .

10-علي محمد الصلابي، **السيرة النبوية**، القاهرة: دار ابن الجوزي، 2007 .

11-محمد الغزالي، **فقه السيرة**، باتنة: دار الشهاب للطباعة والنشر، ب س ن .

12-منصور الرفاعي عبيد، **نظام الحكم في الإسلام**، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2001 .

13-نجيب الأرمنازي، **الشرع الدولي في الإسلام**، دمشق: مطبعة ابن زيدون، 1930 .

14-يوسف ابراهيم النقبي، **التمييز بين الهدف العسكري والمدني، القانون الدولي الإنساني دليل التطبيق على الصعيد الدولي**، القاهرة: دار المستقبل العربي، 2003 .

خامسا: المقالات والمجلات

1-"الإسلام والدبلوماسية: بناء العلاقات على أساس الإحترام"، **صحيفة العرب**، ع.9344، 2013/10/8 .

2-أحمد مراد ، "حبيب بن زيد سفير رسول الله الشهيد"، **الإتحاد**، ع. 14391، 2014/12/01 .

3-حسن محمد صالح حديد، "الدبلوماسية في الشريعة الإسلامية"، **مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية**، جامعة تكريت، العراق، ع.4، 2009 .

4-محسن مشكل فهد الحجاج، "الدبلوماسية في الإسلام العهد النبوي نموذجا"، **مجلة الكلية الإسلامية الجامعة**، ج.1، ع. 60.

5-محمد ابراهيم أبو جريبان، " الأمن الدبلوماسي في الإسلام "، **مجلة جامعة دمشق للعلوم الإقتصادية والقانونية**، مج. 24، ع.1، 2008

6-محمد حبش، " الإسلام والدبلوماسية "، **مجلة الدبلوماسي**، المعهد الدبلوماسي بالدوحة، ع.8، سبتمبر 2013 .

سادسا : المذكرات

1- جمال أحمد جميل نجم، " **أحكام الرسل والسفراء في الفقه الإسلامي** "، مذكرة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2008 .

سابعا : الملتقيات والندوات

1-عادل عبدالله المسدي، **الحصانات في الفقه الإسلامي والتشريعات الوضعية**، ورقة عمل مقدمة في ندوة تطور العلوم الفقهية – النظرية الفقهية، مسقط، سلطنة عمان، 6 إلى 9 أبريل 2013 .

ثامنا : المواقع الإلكترونية

1-أحلام عباسي، " التمثيل الدبلوماسي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم "، **شبكة الألوكة**، على الرابط www.alukah.net/sharia/D/46306 (2023/03/12 21:30)

2-إبراهيم فوزي ، " قصة حقيقة أغرب من الخيال : فتح سمرقند " **موقع صيد الفوائد**، على الرابط : www.saad.net/Minute/402.htm (2023/04/01 15:20)

3-إيهاب كمال أحمد، " من الشمائل والصفات المحمدية "، **شبكة الألوكة**، على الرابط: www.alukah.net/sharia0/60041/ (2023/04/07 20: 50)

4-عباس حلمي، "الدبلوماسية في التاريخ الإسلامي"، **شبكة الألوكة**، على الرابط: www.alukah.net/sharia/D/46306 (2023/03/11 20 :54)

5-محمد راتب النابلسي، " الصحابي الجليل سيدنا حبيب بن زيد رضي الله عنه"، **موسوعة النابلسي**، الرابط: www.nabulsi.com (2023/04/03 23:25)

6-محمود عماد العلول ، " أخلاق الدبلوماسي الناجح " ، **صحيفة الوطن الليبية** ، على الرابط : www.alwatanlibya.com (2023/03/28 21:25)

7-راغب السرجاني، "توبة أبي لبابة"، **قصة الإسلام**، على الرابط: https://www.islamstory.com/ar/artical/3409428/ (2023/04/10 16: 35)

8-راغب السرجاني، " دبلوماسية النبي مع الزعماء خلق نبوي أمر إلهي "، **موقع قصة الإسلام**، على الرابط: islamstory.com/ar/ (2023/03/17 17:34)

9- ليلى الشافعي، ربعي بن عامر، **جريدة الأنباء**، على الرابط
https://www.alanba.com.kw/ar/kuwait-news/islamic-faith/485001/19-07-2014)
2023/04/15 10: 1)

10- وليد حامد الرسح، " الحصانات والامتيازات الدبلوماسية في الفقه الإسلامي والقانون الدولي- دراسة مقارنة- " **مجلة الفقه والقانون**، على الرابط الإلكتروني: www.majalah.new.ma (2023/03/10 22:40)

وليد خلف، " فنون الاتصال الجماهيري والإعلام الدبلوماسي في الإسلام "، **مجلة الوعي الإسلامي**، على الرابط:
(22:15 2023/03/25)Alwaei.gDy.kw/site/pays/chiold/Details.qspx ?

---

[1] سعيد محمد أبو عبادة ، **الدبلوماسية تاريخها مؤسساتها أنواعها قوانينها** ، ص10 .

[2] وليد حامد الرسح ، " الحصانات والامتيازات الدبلوماسية في الفقه الإسلامي والقانون الدولي – دراسة مقارنة – "

[3] عبد الوهاب الكيالي، " الدبلوماسية " في: **موسوعة السياسة** ، ص685 .

[4] جمال أحمد جميل نجم ، " **أحكام الرسل والسفراء في الفقه الإسلامي** "، ص4 .

[5] محمد حبش، " الإسلام والدبلوماسية "، ص18 .

[6] عباس حلمي، " الدبلوماسية في التاريخ الإسلامي " .

[7] علي محمد الصلابي، **السيرة النبوية** ، ص698 .

[8] صفي الرحمن المباركفوري، **الرحيق المختوم** ، ص301 .

[9] محمد الغزالي، **فقه السيرة** ، ص388 .

[10] أحلام عباسي، " التمثيل الدبلوماسي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم " .

[11] نجيب الأرمنازي، الشرع الدولي في الإسلام ، ص ص 151-152.

[12] أبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، **البداية والنهاية** ، ص ص 82-83

[13] محسن مشكل فهد الحجاج، الدبلوماسية في الإسلام العهد النبوي نموذجا ، ص 436 .

[14] راغب السرجاني، " دبلوماسية النبي مع الزعماء خلق نبوي أمر إلهي " .

[15] عبد السلام هارون، **تهذيب سيرة ابن هشام** ، ص213 .

[16] صائب عريقات، **عناصر التفاوض بين علي وروجر فيشر** ، ص50 .

[17] وليد خلف، " فنون الاتصال الجماهيري والإعلام الدبلوماسي في الإسلام " .

[18] حسن محمد صالح حديد ، " الدبلوماسية في الشريعة الإسلامية "، ص101 .

[19] محمود عماد العلول، " أخلاق الدبلوماسي الناجح " .

[20] إبراهيم فوزي، " قصة حقيقة أغرب من الخيال : فتح سمرقند " .

[21] شوقي أبو خليل، **هارون الرشيد أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا** ، ص52 .

[22] ابراهيم أحمد العدوي ، **السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى**، ص 14 .

[23] محمد ابراهيم أبو جريبان ، " الأمن الدبلوماسي في الإسلام ".

[24] منصور الرفاعي عبيد ، **نظام الحكم في الإسلام** ، ص83 .

[25] عادل عبد الله المسدي ، **الحصانات في الفقه الإسلامي والتشريعات الوضعية** .

[26] أحمد مراد، " حبيب بن زيد سفير رسول الله الشهيد " .

[27] محمد راتب النابلسي ، " الصحابي الجليل سيدنا حبيب بن زيد رضي الله عنه" .

[28] يوسف ابراهيم النقبي، **التمييز بين الهدف العسكري والمدني، القانون الدولي الإنساني دليل التطبيق على الصعيد الدولي،** ص 407-408 .

[29] الجاحظ ، **كتاب التاج في أخلاق الملوك** ، ص 121 .

[30] إيهاب كمال أحمد ، " من الشمائل المحمدية " .

[31] راغب السرجاني ، " توبة أبي لبابة " .

[32] ليلى الشافعي ،" ربعي بن عامر " .

[33] اسماعيل علي محمد ، **فقه الدعوة في ضوء موقف جعفر أمام النجاشي رضي الله عنهما** ، ص 7 .

[34] " الإسلام والدبلوماسية : بناء العلاقات على أساس الإحترام " .